

جماعات الضغط السياسي لدى الإسلاميين... تفعيل الدور وتقييم الممارسة

أحمد عمرو

مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

ملخص الدراسة

تلعب جماعات الضغط دورًا تتزايد أهميته في التأثير على اتخاذ القرارات السياسية، والتأثير على بنية وهيكل السلطة؛ لهذا ومع سـقوط أنظمة الديكورياية وانفتاح أبواب السياسـة بكافة آلياتها وأدواتها السياسـية، صار من الواجب على الإسـلاميين الذين دخلوا حلبة السياسـة أن يقفوا على معايير وأدوات الجماعات الضاغطة، ودورها في الممارسة والتأثير السياسي، وألا تقتصر ممارستهم السياسية على صورتها الحزبية. وتهدف الدراسة إلى تطوير الحالة الإسلامية في المشهد السياسي على مستوى جماعات الضغط كما تطورت على مستوى الأداء الحزبي. خاصة أن المشهد السياسي في دول الربيع العربي أصبح مفتوحًا على كافة الممارسات السياسية.

قسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة؛ تناول المحور الأول تعريف جماعات الضغط، ومفهومها، ووظيفتها، وأهم الآليات التي تعمل بها في المجال السياسي.

ثم تناول المحور الثاني جماعات الضغط الإسـلامية، خاصة الهيئة الشـرعية، وتناول الباحث المنطلقات والأهداف التي قامت من أجلها الهيئة الشرعية ودورها السياسي، وهل ينطبق هذا الدور السياسي على جماعات الضغط السياسي أم لا؟

ثم تناول المحور الثالث آليات تطوير الأداء السياسـي لجماعات الضغط الإسـلامية، ورأى الباحث أن جماعات الضغط تحوي عددًا من النقاط الإيجابية أكثر ملاءمة مع طبيعة ومرتكزات التيارات الإسلامية أكثر من الأحزاب السياسية، ومنها:

١ـ تجنب الدخول في المعضلات الشـرعية والقانونية التي يتطلبها الدخول في المعترك الحزبي التنافسي، مثل الاعتراف بحق المواطنة، والموقف من حقوق المرأة ـ بالمضمون العلماني ـ وغيرها من الشروط والمعايير.

٢ـ تتيح الجماعات الضاغطة قدرًا كبيرًا من المرونة في التعامل مع كافة الأحزاب والمستقلين، ولا تضع التيارات الإسلامية في إطار واحد محدد قد يعيق حركتها.

٣ـ تجنب الدخول في معارك ونقاشات مع كافة الأحزاب الأخرى؛ إذ فكرة الحزب الأساسية تقوم على التنافسية بالأساس.

٤ـ تجنـب محاولات الإجهاض، ففي حالة فوز الحزب الذي يمثل التيار باكتسـاح أو يبرز بقوة، فإن هذا سـيجلب عليه الأعداء، ومن الممكن أن يتعرض لحالة إجهاض سـريع، أو تحاك ضده المؤامرات، أو يتعرض لتشويه صورته لدى الجماهير أو التركيز على رموزه لإسقاطهم.

٥ـ تتيح التركيز على تحقيق الأهداف الكلية بشـكل أوضح؛ إذ الحزب منـوط به كثير من الأهداف الجزئية والإجرائية كإيجاد برامج تنموية من شـأنها أن توفر مقومات الحياة للناس العاديين (الملبس والمسـكن والوظيفة...)، بعكس جماعات الضغط التي يكون تركيزها على فكرة محددة تسعى لتحقيقها على أرض الواقع.



جماعات الضغط السياسي لدى الإسلاميين... تفعيل الدور وتقييم الممارسة

أحمد عمرو

مدير وحدة الحركات الإسلامية بالمركز العربي للدراسات الإنسانية

تلعب جماعات الضغط دورًا تتزايد أهميته في التأثير على اتخاذ القرارات السياسية، والتأثير على بنية وهيكل السلطة؛ لهذا ومع سقوط أنظمة الديكوريارية وانفتاح أبواب السياسة بكافة آلياتها وأدواتها السياسية، صار من الواجب على الإسلاميين الذين دخلوا حلبة السياسة أن يقفوا على معايير وأدوات الجماعات الضاغطة، ودورها في الممارســة والتأثير السياسي، وألا تقتصر ممارستهم السياسية على صورتها الحزبية. وتهدف الدراسة إلى تطوير الحالة الإســلامية في المشهد السياسي على مســتوى جماعات الضغط كما تطورت على مستوى الأداء الحزبي. خاصة أن المشهد السياسي في دول الربيع العربي أصبح مفتوحًا على كافة الممارسات السياسية.

المشكلة البحثية:

في محاولة لملامسة الأسس والمقومات التي تقوم عليها جماعات الضغط تأتي هذه الورقة البحثية لتقف على تطوير الدور الجديد لجماعات الضغط السياسي لدى الإسلاميين.

الأسئلة البحثية:

الأسئلة المرجعية التي تسعى هذه الدراسة للإجابة عنها هي كالتالي:

- ما المقصود تحديدًا بالجماعات والقوى الضاغطة؟
- ما الفرق بينها وبين الأحزاب السياسية؟
- ما أنواع وتصنيفات جماعات الضغط؟
- ما الوسائل والآليات التي تعتمدها؟
- كيف مارس الإسلاميون دور الجماعات الضاغطة؟
- ما آليات تطوير الجماعات الضاغطة لدى الإسلاميين؟

منهج الدراسة:

الاقتراب الذي سلكه الباحث هنا هو اقتراب (الجماعة)؛ لأنه المناسب لطبيعة البحث؛ حيث يقوم هذا الاقتراب على الأسس الآتية:

١- تمثل الجماعة وحدة التحليل السياسي، فتركيز الباحث ينتهي علــى الجماعة وليس الفرد، طالما أنها تؤثر في الحياة السياسية أكثر منه.

٢- يحتوي النظام السياســي على شبكة معقدة من الجماعات تتفاعل وتتضاغط فيما بينها باســتمرار؛ فالضغوط والضغوط المضــادة في النظام عبارة عن الصــراع بين هذه الجماعات، وهذا الصراع هو الذي يقرر من يحكم، ويتوقف التغير في النظام السياســي على التغير في تكوين الجماعات.

٣- تؤثــر الجماعــات علــى اتجاهات وســلوك أعضائها؛ فقد أظهرت الدراســات الخاصة بالتنشئة السياســية أن الجماعات المرجعية Reference Group تمــارس تأثيرًا مهمًا بهذا الصــدد، ومن الأمثلة على ذلك: الأســرة، وجماعات الرفاق، والمدرسة، والحزب ... فهــذه الجماعات تغرس القيــم الخاصة بها في عقول أعضائها.

٤- تمارس الجماعات تأثيرًا على النظام السياسي، تحقيقًــا لمصالح تراها، وهي منظمات تطوعية تهدف إلى التأثير في رسم السياسات العامة، وبنفس الوقت تحجم من مســئولية المشاركة المباشــرة في الحكم، وتأثيرها يتوقف على قوة نفوذها، وحجم تماســكها، ومواردها المالية. كما تلعــب الجماعات وظائف مثل زيــادة مشــاركة وفاعليــة الأفراد، والمســاهمة في الاستقرار السياسي. [١]

وقــد وظفت هــذه الآلية في البحث عند دراســة المواقف المصلحية الإســلامية العامــة التي دعمتها الهيئة الشــرعية (محاولة التوافق على مرشح رئاسي واحد، التوافق على مواد الشــريعة الإســلامية في الدستور).

(١) د. عبــد الماجــد (مقدمة فــي منهجية دراســة وطرق بحث الظواهر السياسية)، ط جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، ٢٠٠٠م.

المحور الأول
الجماعات الضاغطة...التعريف والأنواع والآليات

أولاً التعريف والمفهوم :

الضغط السياســي أو اللوبي (lobby) بالإنجليزية تعني الرواق أو الردهة الأمامية في فندق، تســتخدم هــذه الكلمة في السياســة للتعبير عن الجماعات أو المنظمات التــي يحاول أعضاؤها التأثير على صناعة القرار في هيئة أو جهة معينة.

وتعرفها دكتورة ســعاد الشرقاوي بأنها تنظيم قائم للدفاع عن مصالح معينة، وهو يمارس عند الاقتضاء ضغطًا على الســلطات العامــة بهدف الحصول على قــرارات تخدم مصالــح هذه الجماعــة.[٢] ويعرفها جيمس برايس على «أنها إغراء البرلمان للتصويت مع أو ضد مشــروع قانون ما»[٣]. أما أدكار لاني فيقول فيقــول: «هم أفــراد يعملون في ســبيل التأثير على قرارات الحكومة».[٤] ومن التعريفات الشــهيرة أيضًا عن جماعــات الضغط تعريف (ن. هنــت) أنها «أية منظمة تسعى إلى التأثير على سياسة الحكومة، بينما ترفض تحمل مسؤولية الحكم».[٥]

أما جان دانيل فيعرفهــا على أنها «كل الجماعات التــي تضغط للتأثيــر على السياســات العامة على الصعيد السياسي».[٦]

أما الدكتور صادق الأسود فيعرف جماعة الضغط علــى أنها «جماعة من الأشــخاص تربطهم علاقات

(٢) دكتورة سعاد الشــرقاوي، الأحزاب السياسية وجماعات الضغط، دار المعارف، ٢٠٠٠م، الطبعة الثانية، ص٧٥.
(٣) د. كمال المنوفي، أصول النظم السياســية المقارنة، الربيعان للنشــر، الكويت ١٩٨٧م. ص١٦٨.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المصدر السابق ص١٦٩.

اجتماعية خاصة ذات صفة دائمة أو مؤقتة، بحيث تفرض على أعضائها نمطًا معينًا في السلوك الجماعي، وقد يجتمعون على أساس وجود هدف مشترك أو مصلحة مشتركة بينهم يدافعون عنها بالوسائل المتيسرة لديهم».(1)

وأخيرًا يرى البروفسور موودي أن جماعة الضغط هي «أية جماعة منظمة تحاول التأثير على السياسات والقرارات الحكومية، دون محاولتها السيطرة على المراكز الرسمية للدولة، وممارسة أساليب القوة الرسمية من خلالها».(2)

مع تعدد التعريفات التي تحدثت عن جماعات الضغط إلا أننا نستطيع التوصل إلى أنها تعني وجود مجموعة من الأفراد مجتمعين في إطار تنظيمي محدد على أساس مبادئ أو مجموعة مصالح مشتركة، من أجل تحقيق تلك الأهداف أو المصالح المشتركة في إطار قانوني.

ونستطيع قراءة تلك التعريفات من خلال ثلاثة أطر:

١ـ مع تعدد التعريفات التي تحدثت عن جماعات الضغط إلا أننا نستطيع التوصل إلى أنها تعني وجود مجموعة من الأفراد مجتمعين في إطار تنظيمي محدد على أساس مبادئ أو مجموعة مصالح مشتركة، من أجل تحقيق تلك الأهداف أو المصالح المشتركة في إطار قانوني.

٢ـ ومن تلك التعريفات نلاحظ أن سعي الجماعات الضاغطة هو التأثير على السلطة أو الحكومة للوصول لأهدافها دون تولي المسئولية المباشرة.

٣ـ تعمل جماعات الضغط على التأثير على مصدر القرارات التي تتوزع على السلطتين التشريعية والتنفيذية الحاكمة في البلاد، والتي تحدد صلاحياتهما من قبل دساتيرهما، فيحدد اللوبي نقطة تركيزه اعتمادًا على مصدر اتخاذ القرار.

من أشهر جماعات الضغط والمصالح هي جماعة اللوبي اليهودي في أمريكا، وجماعات الفلاحين، والجماعة الكاثوليكية، وجماعة رجال الأعمال والجماعات العمالية.

بقيت نقطة مهمة، يمكن أن تكون جماعة الضغط مسجلة رسميًا تحت هذا المسمى كما يحدث في أمريكا، ويمكن أن تقوم بمهام جماعة الضغط حسب تعريفها السابق، ولكنها مسجلة تحت اسم آخر، كاتحاد عمال مهنيين أو جمعية حقوق إنسان أو مركز أبحاث أو مراكز للتأثير على الرأي العام.

وبناء على ذلك فإن جمعيات حقوق الإنسان بحكم مهامها تشكل جماعات ضغط، ومراكز الأبحاث تمثل هي الأخرى جماعات ضغط، فهي لا تنتج دراساتها عبثًا، وإنما تقوم ببعض هذه الدراسات لجماعات ضغط مسجلة وجماعات مصالح ضخمة، كما أنها تقوم ببعض الدراسات لتحقيق أهداف محددة خاصة بمركز الدراسات ذاته.

إذن كل من يضغط ويعمل من أجل التغيير السلمي في مجتمعه والمجتمعات الأخرى بدون السعي للسلطة يشكل جماعة ضغط وفقًا لهذا التوصيف.

وظيفة جماعات الضغط:

تمثل الجماعات الضاغطة أحد مستويات التفاعل وربما الصراع التي تؤثر على الحياة السياسية، مثلها مثل الأحزاب السياسية، رغم أنها تختلف عنها من حيث أهدافها وأساليبها كما سنشير إلى ذلك لاحقًا، إلا أن هذا الاختلاف لا يبعدها عن بعضها البعض بقدر ما يجعلهما كما يقول (Macridis) بمثابة قناتين أساسيتين في عملية التمثيل الشعبي؛ حيث تشكل

(1) د. صادق الأسود، علم الاجتماع السياسي، مكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٦م، ص٣٥٥.

(2) د. حسان محمد الحسن، علم الاجتماع السياسي، ص ١٨٣-١٨٤.

الأحزاب قناة التمثيل السياسي، بينما تمثل الجماعات – وخاصة العامة منها – قناة التمثيل الوظيفي.

وهـــذا يعنـــي أن وظيفتها الأساســـية لا تكمن في تقديم القيادات السياسية الممثلة للجمهور، كما الحال بالنسبة للأحزاب، بل ترتكز وظيفتها بالدرجة الأولى في تجميـــع اهتمامات ومطالب الفئـــات التي تمثلها وتقوم بتقديمها للسلطة والعمل من أجل تحقيقها.

كما أنها تقوم بتحضير قطاعات الشـــعب صاحبة المصلحـــة بذلك؛ ليقوموا بتأييد ودعم الســـلطة حين تســـتجيب لذلك، أو لمعارضتها ومجابهتها حين تكون استجابة السلطة سلبية.

وهـــذا بالطبع لا يلغي دورها فـــي تقديم القيادات السياســـية وتوصيلها للســـلطة، إلا أنها تبقى وظيفة ثانويـــة وغير مباشـــرة، وذلك بقيامهـــا بدعم حزب معـــين ماليًا وإعلاميًا من أجـــل نصرته في الحصول علـــى الأصوات اللازمة لنجاحـــه أو مواجهته لبرامج الأحزاب الأخرى التي تتناقض مع مصالحها. (١)

أنواع جماعات الضغط :

لـمـــا كانت جماعـــات الضغط هـــي منظمات داخل المجتمع هدفها ممارســـة نشـــاط عام، والتأثير على الســـلطات السياســـية؛ فإنها تضم مجموعة متباينة الاتجاهات ومختلفة في تركيبها، لذا فمن المستحسن محاولـــة تصنيف جماعات الضغـــط على الرغم من صعوبة القيام بهذه العملية.

ويقترح علماء السياسة عـدة تصنيفـات لجماعات الضغط تختلـف باختلاف المعيار الذي يؤخـذ في الاعتبار، من أهم هذه المعايير ما يلي:

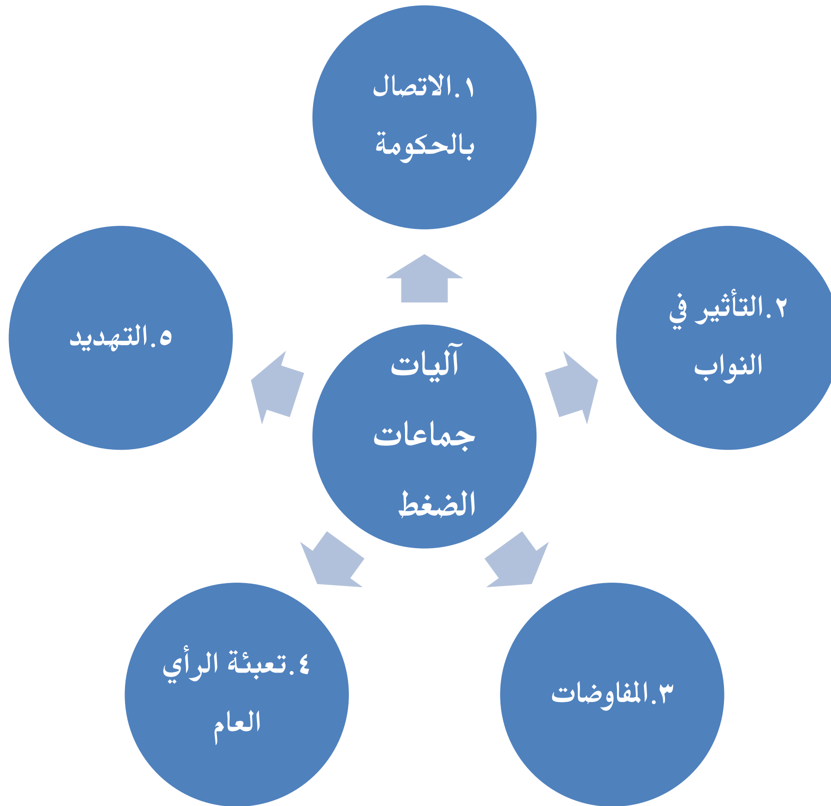
(١) يونس زكـــور، الجماعات والقوى الضاغطة، ماهيتها، وحدود وظيفتها في الحقل السياسي، موقع الحوار المتمدن–العدد: ١٨٥٧ – ٢٠٠٧م/ ٣ / ١٧، على الرابط التالي:.http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=91386

١- التصنيـف الأول لجماعات الضغط يعتمد على أهمية عملية الضغط على الســـلطة بالنسبة للجماعة، فبعض الجماعات مهمتها الأساسية أو الوحيدة هي التأثير على الســـلطة، ومثالها الجمعية البرلمانية الفرنســـية للدفاع عن حرية التعليـــم، وكذلك اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية. والبعض الآخر من جماعات الضغط لا تمارس الضغط إلا بصفة عرضية وبشـــكل ثانوي إلى جانب نشـــاطها الرئيس، الذي قد يكون نشاطًا صناعيًا أو زراعيًـــا أو دينيًـــا أو غير ذلـــك، والأمثلة على هذه الجماعات عديدة: الجمعيـــات الأدبية، المصانع....إلخ، من هنـــا يمكن أن نقول: إنه يمكن التمييز بين جماعات ضغط بحتة، groupes de pression exclusives وجماعات ضغط جزئية groupes de pression partiels. (٢)

٢- أما التصنيف الثاني لجماعات الضغط فهو تصنيفها إلى جماعات ضغط عامة وجماعات ضغط خاصة؛ إذ توجـــد داخـــل تنظيمات الدولـــة هيئات تمارس ضغطًـــا على هيئات أخرى، وقـــد تزايدت جماعات الضغـــط العامة نتيجة لتدخل الدولة في مجالات لم تكن تطرقها من قبل، ممـــا أدى إلى ازدياد الأجهزة والمنظمات التابعة للدولة. غير أن الفقه الكلاسيكي يرفض الاعتراف بوجود ضغط من داخل الســـلطة؛ لأنه لا يزال يتمسك بوحدة الدولة، ومن ثم لا يتصور إمكان ممارســـة ضغط من وحدات السلطة بعضها على بعض.

٣- التصنيـف الثالـث لجماعـــات الضغط يعتمد على المصلحـــة التي تدافع عنها الجماعـــة، ومن ثم يمكن التمييز بين جماعات ضغط ذات أهداف أيديولوجية، ويســـميها البعض جماعات ذات فكر، وبين جماعات ضغط ذات مصالح مادية. (٣) فجماعة الأفكار تسعى إلى فرض أفكار وقيم معينة سواء أخلاقية أو سياسية،

(٢) دكتورة ســـعاد الشـــرقاوي، الأحزاب السياســـية وجماعات الضغط، سلسلة اقرأ الشهرية، دار المعارف المصرية، ط٢، ص٩١.
(٣) دكتورة سعاد الشرقاوي، المصدر السابق، ص٩٢.



مثل جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان، أما جماعات المصالح فهي التي تدافع عن مصالح مادية أساسًا مثل: جماعات التجار وأصحاب الأعمال، والنقابات، والاتحادات المهنية.

٤- **التصنيف الرابع:** إذا أخذنا في الاعتبار عدد الأفراد الذين تضمهم الجماعة يبرز لنا التصنيف الرابع لجماعات الضغط وهو جماعات جماهيرية وجماعات قلة منتقاة، تسعى جماعات الضغط الجماهيرية إلى ضم أكبر عدد من الأفراد؛ لأن ضخامة عدد المنضمين إليها يعتبر مصدر قوتها الرئيس، وهذا النوع من جماعات الضغط يحتاج إلى تنظيم قوي، والأمثلة عديدة على جماعات الضغط الجماهيرية، فنقابات العمال والفلاحين والجمعيات النسائية كلها تضم أعدادًا هائلة من الأفراد. أما جماعات الضغط التي تتكون من قلة منتقاة فليس المهم هو عدد الأفراد المنضوين تحت لواء الجماعة، وإنما المهم هو قوة المصلحة التي تمثلها جماعة الضغط سواء أكانت مصلحة مادية أم معنوية، ومثال جماعات القلة: الجمعيات الفكرية والمراكز البحثية.

٥- **التصنيف الخامس:** يمكن تصنيف جماعات الضغط السياسي على أساس الوسائل الفنية التي تستخدمها للتأثير على السلطة، وهذه الوسائل قد تكون مباشرة، وقد تكون غير مباشرة.

آليات جماعات الضغط :

يمكن تحديد أهم الوسائل التي تستخدمها الجماعات والقوى الضاغطة على الشكل التالي :

١- الاتصال بالحكومة:

لكي تتمكن جماعات الضغط من التأثير على الحكومة يجب أن تقيم شبكة من العلاقات الدائمة الثابتة مع الهيئات العامة، وفي أغلب الأحيان تكون هذه العلاقات ذات طبيعة شخصية، وتتطلب حضور

احتفالات واجتماعات ولقاءات[1]، ومن أشكال هذا الاتصال: الصداقات، والعلاقات الشخصية، الإغراءات المالية، الحفلات والولائم تكريمًا للحكام والموظفين الكبار، انتهاز الفرصة لتقديم الهدايا والخدمات.

٢- التأثير في النواب:

لا شك أن الاتصال بأعضاء البرلمان، يعتبر وسيلة مهمة للضغط وتحقيق أهداف الجماعات ومصالحها[2]، وتعمل الجماعات على استصدار قانون لصالحها أو تعديل قانون، أو استبعاد قانون معين، بل ربما تضغط لتغيير الدستور نفسه. الضغط على النواب قد يكون مباشرة بمطالبة النواب بتنفيذ وعودهم الانتخابية بإرسال رسائل إليهم قبل التصويت على قانون معين، قد تتضمن التهديد بعدم المساعدة والدعم الانتخابي.

مختلف الأنظمة الحاكمة تهمها مساندة الرأي العام لها، لذا تلجأ الجماعات الضاغطة إلى استخدام الرأي العام ضد السلطة بتعبئته خدمة لمصالحها بكل الوسائل، كإصدار النشرات وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات واستخدام الفضائيات وإصدار الجرائد والمجلات وكل وسائل الإعلام .

٣- المفاوضات:

تستخدم جماعات الضغط المفاوضات كوسيلة للحصول على ما تريد، وتأخذ المفاوضات شكلين: شكلاً رسميًا وشكلاً غير رسمي.

الشكل الرسمي: يكون بتكوين لجان تفاوض تشرح وجهة نظرها للحكومة أو البرلمان، ففي الولايات المتحدة تسمح اللجان المسماة Standing commit-tees للمنظمات التي لها مصالح متعلقة بتشريع معين بعرض وجهة نظرها في جلسة عامة علنية، ويتبع هذا العرض مناقشة وأسئلة.

أما الشكل غير الرسمي للمفاوضات فتلجأ إليه جماعات الضغط، وخاصة النقابات، ويبدأ من إرسال متحدث باسم الجماعة يتفاوض مع الحكومة وحتى الوصول إلى المظاهرات والإضرابات العامة من أجل تنفيذ المطالب.[3]

٤- تعبئة الرأي العام:

مختلف الأنظمة الحاكمة تهمها مساندة الرأي العام لها، لذا تلجأ الجماعات الضاغطة إلى استخدام الرأي العام ضد السلطة بتعبئته، خدمةً لمصالحها بكل الوسائل، كإصدار النشرات وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات، واستخدام الفضائيات، وإصدار الجرائد والمجلات وكل وسائل الإعلام.

٥- التهديد :

للتهديد أشكال متعددة؛ منها التهديد بسحب الثقة من أعضاء البرلمان، وعدم تأييد العضو الرافض في المستقبل، وقد يشمل التهديد خلق أزمات مالية واقتصادية للحكومات، كالتحريض على عدم دفع الضرائب أو التهديد باستخدام القوة المتمثلة بالإضرابات عن العمل.

نستطيع أن نقول في الأخير: إن الجماعة الضاغطة لكي تكون فاعلة، أي تملك القدرة على تحقيق أهدافها؛ عليها أن تملك: اقتصادًا قويًا، فاستمرارية غالبية جماعات الضغط بفاعلية تعتمد على قوة الجماعة الاقتصادية.

كما لا بد أن تتمتع بقوة إعلامية فاعلة عن طريق فتح قنوات اتصالية قوية لتعبئة الرأي العام، مثل: المحطات الفضائية والصحف والمجلات، وغيرها من الوسائل التي تتيح التأثير في الرأي العام.

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص٩٦.

المحور الثاني
الإسلاميون كجماعة ضغط
(الهيئة الشرعية نموذجًا)

السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المحور: هل مارس الإسلاميون آلية جماعات الضغط في مشاركتهم في الساحة السياسية؟ وما هي الجهة أو المؤسسة التي مارست تلك الآلية السياسية؟ وهل مارستها بشكل صحيح؟

هذه التساؤلات سنحاول الإجابة عنها من خلال ذلك المبحث.

من واقع دراسة الحالة السياسية للإسلاميين بعد الثورة يتبين لنا أن هناك من الائتلافات والتيارات من مارس عمل جماعات الضغط بصيغة أو بأخرى، مثل: الجبهة السلفية، وائتلاف دعم المسلمين الجدد....... إلخ، إلا أن الجهة الوحيدة التي عبرت عن نفسها بهذا الوصف هي (الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح)، على لسان أمينها العام الدكتور محمد يسري. لذلك ستكون الهيئة الشرعية هي مستهدف هذا البحث بالدراسة، خاصة أن لها كيانًا مؤسسيًّا واضح المعالم، وأطرًا محددة تتعامل من خلالها؛ لذا سنحاول وضع (الهيئة الشرعية) على مقياس معايير الجماعات الضاغطة لنعرف هل ينطبق عليها هذا الوصف حقيقة؟ وهل مارسته بصورة صحيحة؟

وابتداء لا بد من الإشارة إلى أن أية نتيجة نصل إليها في هذا الفصل سواء بالإيجاب أو السلب، هي لا تنفي أبدًا الدور الإيجابي والمواقف السياسية المؤثرة التي قامت بها الهيئة.

فهي قامت بأدوار عظيمة، وكان لها دور إيجابي في جمع الكلمة والتنسيق بين العديد من تجمعات الإسلاميين، لكننا نهدف إلى التوصيف العلمي المستند إلى أطر وقواعد العلوم السياسية البحتة.

والذي نرنو الوصول إليه: هل تلك الأدوار الإيجابية تندرج سياسيًّا تحت توصيف جماعة الضغط أم لا؟

وفي كل الأحوال فإن محاولة النقد العلمي يصب في النهاية إلى ترشيد الممارسة السياسية للإسلاميين بكافة أشكالها، سواء أكانت أحزابًا أو تيارات أو جماعات ضاغطة.

الهيئة الشرعية ... وصف الذات

توصف الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بأنها هيئة علمية إسلامية وسطية مستقلة، تتكون من مجموعة من العلماء والحكماء والخبراء. [1]

وتعرف الهيئة نفسها عبر عدد من المحددات والأهداف والوسائل من خلال العناوين التالية:

أغراض الهيئة وأهدافها:

تتوخى الهيئة تحقيق الأهداف التالية:

١- البحث في القضايا والمستجدات المعاصرة، بما يساعد على حماية الحريات والحقوق المشروعة، وتحقيق العدالة الاجتماعية.

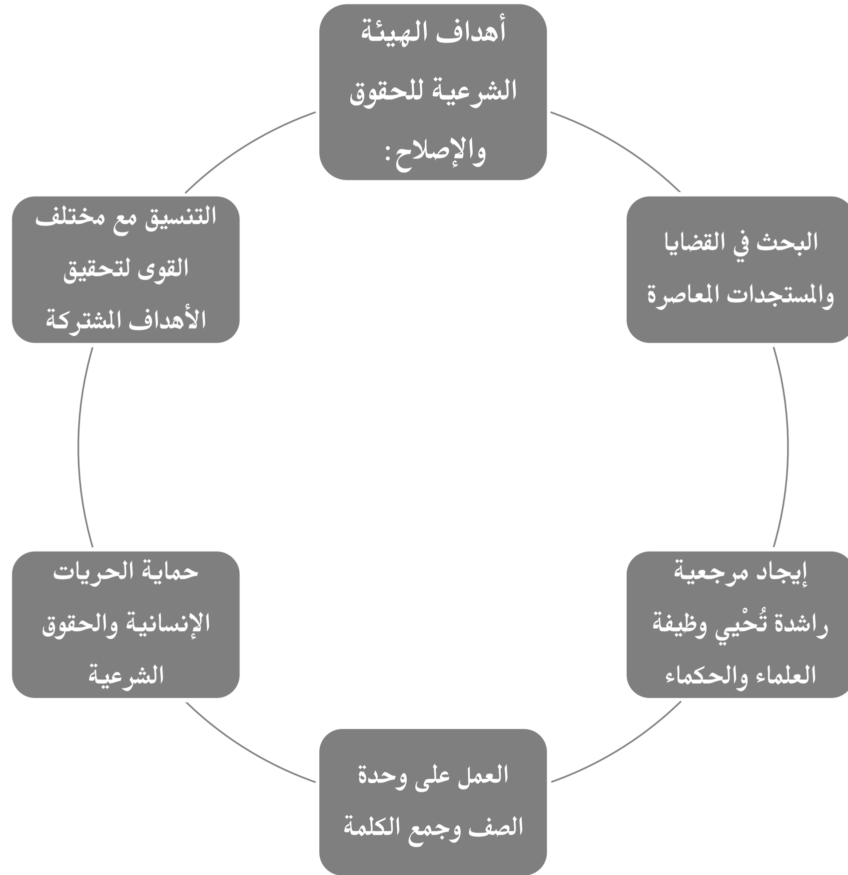
٢- إيجاد مرجعية راشدة تُحْيِي وظيفة العلماء والحكماء في الأمة، لمعاونة أهل الحل والعقد في تدعيم الحريات وتحقيق الإصلاح.

٣- العمل على وحدة الصف وجمع الكلمة، وتقديم الحلول للمشكلات المعاصرة وفقًا لمنهج الوسطية النابع من عقيدة أهل السنة والجماعة.

٤- حماية الحريات الإنسانية، والحقوق الشرعية.

٥- التنسيق مع مختلف القوى والمؤسسات الإسلامية

(١) موقع الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، على الرابط التالي... http://www.forislah.com/container-pages/عن-الهيئة



والشعبية لتحقيق الأهداف المشتركة، وترسيخ القيم الإسلامية في الحياة المعاصرة بما يعيد بناء الإنسان وتنميته لإحداث نهضة حضارية شاملة.

تهدف الهيئة الشرعية إلى العمل لوحدة الصف الإسلامي، والتنسيق مع مختلف القوى العاملة في مجال الدعوة، وبفضل الله استطاعت الهيئة الشرعية عمل تنسيق بين جميع القوى الإسلامية، لتحقيق أكبر قدر من وحدة الصف الإسلامي؛ حيث تعتبر الهيئة الشرعية أكبر تحالف إسلامي يضم جماعة الإخوان المسلمين والسلفيين وبعض مشايخ الأزهر الشريف.[1]

وسائل الهيئة:

تسعى الهيئة لتحقيق أهدافها عبر الوسائل الآتية:

١- تشكيل لجان متخصصة ذات مهام دائمة أو مؤقتة، ويعهد إليها القيام بالأعمال التي تحقق أغراض الهيئة وأهدافها.

٢- عقد الاجتماعات الدورية والطارئة لاتخاذ المواقف المناسبة، وبحث القضايا المهمة أو العاجلة.

٣- عقد الندوات والملتقيات التي توضِّح رأي الهيئة في القضايا المثارة.

٤- إصدار البيانات، ومكاتبة ومحاورة الأفراد والجهات والهيئات الرسمية وغير الرسمية.

٥- إنشاء موقع إلكتروني على شبكة المعلومات الدولية يتضمن بحوث الهيئة، وأنشطتها، وأخبارها.

٦- الاستعانة بالخبراء والمتخصصين؛ للاستبصار فيما يعرض من قضايا معاصرة.

٧- التفاعل المباشر مع وسائل الإعلام المختلفة.

٨- إصدار دورية أو مجلة باسم الهيئة تتضمن

(١) الأهرام المسائي، مصدر سابق.

البحوث والمقالات العلمية.

٩- عقد ندوات ودورات علمية مختلفة، وبرامج متخصصة.

١٠- وللهيئة أن تتخذ من الوسائل والأساليب المشروعة ما تراه محقِّقًا لأهدافها. (١)

الهيئة الشرعية كجماعة ضاغطة:

في عدد من الأحاديث والحوارات الصحفية وصف أمين عام الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح الدكتور محمد يسري الهيئة بأنها جماعة ضغط سياسي إسلامي. فقد عنون أحد صحفيي جريدة الأهرام المسائي حواره مع الدكتور محمد يسري بـ«الدكتور محمد يسري: لسنا حزبًا سياسيًّا ولكن جماعة ضغط سياسي إسلامي».

وقد سُئل الدكتور يسري: هل ستخوض الهيئة الشرعية الانتخابات البرلمانية القادمة؟

فأجاب: نحن لسنا حزبًا سياسيًّا أو جماعة لها طموح سياسي، ولكن نحن جماعة ضغط سياسي إسلامي، لذلك لن نرشح أي شخص في الانتخابات البرلمانية القادمة، كما أننا لن نقدم دعمًا لأي مرشح، ولن نقف وراء أي مرشح من التيار الإسلامي. (٢)

وهنا وصف الدكتور محمد يسري الهيئة الشرعية بشكل واضح أنها جماعة ضغط.

ولنا بعد هذا الوصف أن نطرح سؤالا مهمًّا .. ماذا تملك الهيئة الشرعية من أدوات التأثير السياسي لدى جماعات الضغط؟

حددنا في المحور الأول عددًا من الآليات التي تستخدمها جماعات الضغط، منها: الاتصال بالحكومة، والتأثير على النواب، والمفاوضات، وتعبئة الرأي العام والتهديد. وبالطبع فإن عدم توفر المعلومات الكافية – اللهم إلا ما يُنشر في الإعلام عن طبيعة ممارسة الهيئة للقضايا السياسية – يؤثر على طبيعة تقييمنا للوضع، كما أن حداثة التجربة السياسية المصرية في شكلها الرسمي ممثلة في الحكومة أو الشعبي الجماهيري من الأحزاب والجماعات؛ كل ذلك يؤثر في ضبابية المشهد في ظل علاقات متشابكة ومتشابهة، فعلى صعيد الاتصال بالحكومة أو بأعضاء البرلمان مثلاً كآلية من آليات جماعات الضغط، لم يتضح بالمشهد الإعلامي المقروء والمسموع حدوث حالة من الاتصال المباشر والمستمر، رغم أن ذلك قد يكون حدث ـ سواء بشكل فردي أو جماعي، مستمر أو متقطع ـ لكن لم تبرز تلك الأمور على السطح الإعلامي، مما يتبدى للباحث أن تلك الآليات لم تستخدمها الهيئة بالشكل القوي والمطلوب. وإن كان دورها في تعبئة الرأي العام يشهد بحضور قوي من خلال المؤتمرات واللقاءات والنشرات والبيانات التي أصدرتها الهيئة، إضافة إلى دعم بعض المظاهرات التي طالبت بتحكيم الشريعة، فقد دعمت الهيئة الشرعية جمعة ٢٩ يوليو للمطالبة بتحكيم الشريعة والتي كان له أثر بالغ في إسقاط وثيقة السلمي، التي كانت تحتوي على مبادئ فوق دستورية. (٣)

ولا شك أن الاقتصاد والإعلام هما أهم أدوات التأثير لدى جماعات الضغط.

الاقتصاد يُستخدم في دعم وتمويل من يؤيد مصالح أو أفكار الجماعات الضاغطة، والإعلام يُستخدم في

(١) موقع الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح على الرابط التالي: http://www.forislah.com/container-pages/عن-الهيئة

(٢) حوار في الأهرام المسائي، أجراه حفني وافي مع دكتور محمد يسري، الجمعة ١١ من شوال ١٤٣٢ هـ ٩ سبتمبر ٢٠١١م السنة ٢١ العدد ٧٤٣٩.. على الرابط http://massai.ahram.org.eg/News/٣٩٧٢٢.aspx

(٣) راجع بيان الهيئة الشرعية (البيان السادس عشر حول مليونية الجمعة ٢٠١١/٧/٢٩) المنشور يوم الاثنين، ٢٥ تموز/يوليو ٢٠١١ على الرابط التالي: http://www.forislah.com/البيانات-النصية/البيان-السادس-عشر-حول-مليونية-الجمعة-٢٩-٧-٢٠١١م.

كسب الجماهير واصطفاف الرأي العام تجاه تلك القضايا. وهذان العاملان ليسا بالقوة لدى التيارات الإسلامية أو الهيئة الشرعية.

لكن هناك عاملاً إيجابيًا قويًا لدى الهيئة الشرعية؛ وهي أنها تملك رصيدًا جماهيريًا كبيرًا، فجمهور مؤيدي ومحبي الشخصيات والكيانات المكونة للهيئة عريض وواسع وله تأثير سياسي قوي بلا شك.

ويحضرني هنا وصف الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح بجامعة الدول العربية ـ من جانب واحد فقط ـ وهو أن الإرادة السياسية للجامعة العربية تعبر عن مجموع إرادات الدول العربية، وليست إرادة منفصلة، والهيئة الشرعية تشبهها من هذا الجانب، فليس للهيئة الشرعية إرادة منفردة بل تعبر عن مجموع إرادات الكيانات والشخصيات المكونة لها، وتلك الكيانات والشخصيات الممثلة في الهيئة إن فشلت في تكوين رأي جامع عام ملزم لأعضائها أصبحت إرادتها السياسية ضعيفة.

ورغم أن لدى الهيئة العديد من الشخصيات والكيانات الإسلامية ذات الجماهيرية الواسعة، إلا أن تلك الكيانات خطابها إلى الجماهير موسوم باسمها ولا يعبر عن الهيئة إلا في القليل.

وفي العديد من القضايا ذات الشأن السياسي والتي كانت تحتاج إلى كلمة واحدة من الهيئة حتى نستطيع أن نقول إنها شكلت ضغطًا سياسيًا قويًا، لم يجتمع أعضاء الهيئة على قرار ملزم، وصار كل شخص أو تيار ممثل بالهيئة الشرعية يخرج على الناس ليعبر عن رأيه الشخصي كما في انتخابات رئيس الجمهورية؛ حيث أيدت الدعوة السلفية د. أبو الفتوح في حين دعم فريق آخر داخل الهيئة د. محمد مرسي.

إن الوجود الإعلامي المستمر، وتطوير آليات الاتصال والإلحاح المتزايد والمتراكم على القضايا ذات الاهتمام من أهم المعايير ذات الصلة بالجماعات الضاغطة.

وعلى مقياس التأثير الجماهيري فإن مقارنة بسيطة بين الهيئة الشرعية وجماعات الضغط العلمانية التي تمتلك وسائل الإعلام وتمتلك المال السياسي، نرى أن تلك الجماعات حققت نجاحات كبيرة في الدستور وفي كثير من قضايا الشأن العام والسياسة المصرية في الفترة الأخيرة، رغم أنهم بالتعريف السياسي الانتخابي أقلية.

وجماعات الضغط العلمانية وإن كانت لم تعرف نفسها كجماعة ضغط ولم تتخذ شكلاً أو إطارًا محددًا، إلا أن تشارك الأفكار والأهداف بين العديد من القطاعات العلمانية أنتجت نوعًا من الضغط السياسي أدى لنتائج إيجابية كبيرة بالمعيار العلماني.

إعلاميًا لا تملك الهيئة وسائل اتصال جماهيرية واسعة النطاق كالتي يمتلكها اللوبي العلماني. ربما موقعًا إلكترونيًا وبعض البيانات واللقاءات الجماهيرية في بعض المحافظات، كما رعت الهيئة بعض المظاهرات التي تصب في مصلحة المشروع الإسلامي. لذلك فإن المقارنة قد تكون مجحفة، لكن الذي يعنينا أننا نحتاج إلى عدد من الاستراتيجيات والآليات لتفعيل دور حقيقي لجماعات ضغط إسلامية يكون لها تأثير جماهيري وسياسي قوي في واقع ما يزال قابلاً للتشكيل في مرحلة ما بعد الثورات العربية. وهذا ما سنطرحه بقوة في المحور الثالث.

والخلاصة أن الهيئة الشرعية لا تملك الكثير من أدوات الضغط السياسي التي تمكنها من القيام بدورها السياسي كجماعة ضغط نتيجة لما يلي:

١ـ الضعف الإعلامي مقارنة بالحضور الإعلامي القوي للوبي العلماني.

على الرغم من تصريحات أمين عام الهيئة الشرعية

بأن الهيئة تنتوي ـ بمشيئة الله ـ تعالى إصدارَ جريدةٍ، وتنتوي إصدار مجلَّة، وتنتوي إنشاء قناة فضائيَّة إسلامية منوَّعة، تهتمُّ بالقضايا العلميَّة والدعوية والاجتماعية والسياسية على حدٍّ سواء.[1] ولم يدشن من ذلك إلا الموقع الإلكتروني، على حد علم الباحث.

٢ـ تفرق الهيئة بحيث أصبحت لكياناتها وأفرادها المؤسسين آراء متباينة في القضية الواحدة. وكان في استطاعة الهيئة التي تكونت من العديد من العلماء لو اجتمعت كلمتهم أن تكون جماعة ضغط ذات (سلطة روحية)، وربما تكون في قوتها منافسة لسلطة الدولة نفسها؛ إذ السلطة الروحية المكونة من علماء الدين عند المسلمين أكبر منها بكثير عند الدول الغربية، وما يزال الإسلام مكونًا رئيسًا في وجدان الشعب المصري.

٣ـ في برنامج وأهداف الهيئة لم يتضح بشكل قوي دورها كجماعة ضغط سياسية لها آلياتها ووسائلها في التأثير السياسي، بل تهدف الهيئة الشرعية إلى العمل لوحدة الصف الإسلامي والتنسيق مع مختلف القوى العاملة في مجال الدعوة، والتنسيق بين جميع القوى الإسلامية، لتحقيق أكبر قدر من وحدة الصف الإسلامي... وهي ما قد تكون نجحت فيه إلى حد ما.

ولعل تلك الكلمات تساهم فيما دعا إليه د. محمد يسري في حوار له منشور على موقع الهيئة حين دعا إلى (تشكيل لجنة تعنى بالتخطيط الاستراتيجي للهيئة، والتواصل مع عدد من الخبراء في هذا المجال لرسم أهداف الهيئة المرحلية بدقة، وإيجاد الوسائل والطرائق التي من خلالها تنجز وتحقق هذه الأهداف).[2]

المحور الثالث
نحو آلية لإيجاد جماعات ضغط إسلامية

يظن البعض أن جماعات الضغط تتمثل فقط في موقف سياسي تجاه قضية من القضايا أو أمر من الأمور السياسية، بينما العمل داخل جماعات الضغط والسعي لجعل جماعات ضغط ما قوة مؤثرة على الصعيد السياسي يحتاج إلى كثير عمل. من المهم في البداية أن نشير إلى أن معايير نجاح الجماعات الضاغطة السياسية ليس فقط دعم المرشح الانتخابي أو تأييد كتلة انتخابية معينة، وإنما تشكيل الرأي العام والضغط عليه بمجموعة من القيم والمفاهيم التي تصبح مع الوقت قادرة على تشكيل الكيان الوجداني الجماعي أو العقل الجمعي للجماهير.

معايير نجاح الجماعات الضاغطة السياسية ليس فقط دعم المرشح الانتخابي أو تأييد كتلة انتخابية معينة، وإنما تشكيل الرأي العام والضغط عليه بمجموعة من القيم والمفاهيم التي تصبح مع الوقت قادرة على تشكيل الكيان الوجداني الجماعي أو العقل الجمعي للجماهير.

فاللوبي الصهيوني في أمريكا على سبيل المثال، لم يصل لتلك الدرجة من التأثير على القرار السياسي الأمريكي إلا بالعديد من الاستراتيجيات؛ لذلك فإن أيًا من جماعات الضغط الأخرى لم يحقق نجاحًا يماثل أو يداني ما أحرزه اللوبي «الإسرائيلي» من انتصارات.

فعلى الرغم من قلة عدد اليهود بالنسبة إلى عدد السكان في الولايات المتحدة (أقل من ٣٪ من مجموع السكان)، إلا أنهم يدفعون أموالاً طائلة للحملات

(١) حوار مع الدكتور محمد يسري الأمين العام للهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، حاوره عبد الرحمن المراكبي لموقع الألوكة بتاريخ ١٦/١١/٢٠١١م- ١٩/١٢/١٤٣٢ هـ، على الرابط التالي: http://www.alukah.net/Culture/1035/36046/

(٢) محمد يسري: الهيئة الشرعية تحتاج الآن إلى وقفة للتخطيط الاستراتيجي، موقع الهيئة الشرعية، بتاريخ الأربعاء، ١٢ سبتمبر ٢٠١٢م، على الرابط التالي: http://www.forislah.com/الأخبار/د-محمد-يسري-الهيئة-الشرعية-تحتاج-الآن-إلى-وقفة-للتخطيط-الاستراتيجي.

الانتخابيـة للمرشـحين من كلا الحزبـين. وقدرت صحيفة «الواشـنطن بوسـت» ذات مرة أن مرشحي الرئاسة الديمقراطيين «يعتمدون على الأنصار اليهود لتزويدهـم بمـا يبلغ ٦٠ ٪ من الأمـوال» كما تتغلغل القوى الموالية لـ«إسرائيل» في كافة مناحي مؤسسات ومعاهد الدراسـات والبحوث والتخطيـط الاسـتراتيجي والفكري فـي الولايات المتحدة وتهيمـن عليهـا. ولا يخفى أن هذه المراكـز والمعاقل الفكرية تلعـب دورًا مهمًّـا في صياغة الجدل العـام ومسـاراته في المحافـل والمنابـر، إضافة إلى ما تقوم بـه من دور خطير في صياغة السياسة الحقيقية.

وإن نقلنا المشـهد سـريعًا إلى دول الربيع العربي نجد أن هناك لوبي علمانيًّا أخذ في التشـكل سريعًا بعد سـقوط الأنظمة الديكتاتورية وتولي الإسلاميين السـلطة، ففي مصر على سبيل المثال (لوبي علماني) قـوي- حجمه الجماهيري قليل ومحدود ولكن تأثيره الفعلي كبير ومؤثـر -، ومن آخر معاركه التي أظهرت قوته هي الجمعية التأسيسـية للدستور التي احتكم الجميع في طريقـة تكوينها إلى آليات الديمقراطية، ثم بعد فوز الإسلاميين الكاسح في انتخابات الشعب والشـورى والذي يؤهلهم لحصد أغلبية في الجمعية التأسيسـية للدسـتور، مما يعطيهم الحق في إظهار توجهاتهـم السياسـية في بعض مواد الدسـتور ولو بقدر يسـير يناسـب المرحلة، ولا يقدح في مساعي التوافق، نجد أن الضغوط السابق ذكرها تحرمهم من أي مكسب سياسـي يذكر في تأسيسية الدستور، بل تدفعهم للتراجع في بعض الأوقات!!

ومع ذلك روج اللوبي العلماني لأفكاره هذه بسلطانه الإعلامي المعروف، واستطاع أن يحرم التيار الإسلامي من أن يجني أي مكاسب سياسية تذكر حتى الآن.

إذن النخبـة المصرية المسـيطرة على المؤسسـات الإعلامية والقضائية والعسكرية نخبة منتقاة تعرضت عبر سـنوات طويلة إلى فرز وتكرير وتصفية من كل ما هو إسـلامي- حتى الأزهر الشريف لم يسـلم من سيطرة بعـض أصابـع العلمانية على مقاليـده- وصار هـذا اللوبي صاحب قوة تمكنـه من عرقلة أي مسـيرة تبايـن توجهاتـه وأفكاره حتى لو جاءت محمولة علـى أكتاف الشـعب المصري سالكة الطرق الشرعية والديمقراطية!

النخبة المصرية المسيطرة على المؤسسات الإعلامية والقضائية والعسكرية نخبة منتقاة تعرضت عبر سنوات طويلة إلى فرز وتكرير وتصفية من كل ما هو إسلامي- حتى الأزهر الشريف لم يسلم من سيطرة بعض أصابع العلمانية على مقاليده- وصار هذا اللوبي صاحب قوة تمكنه من عرقلة أي مسيرة تباين توجهاته وأفكاره حتى لو جاءت محمولة على أكتاف الشعب المصري سالكة الطرق الشرعية والديمقراطية!

فـآل الأمر إلى أن هذا اللوبـي صار يمثل خطرًا داهمًا على المشروع الإسلامي يهدد مسيرته ومساعيه تجاه عودة المنهج الإسلامي إلى مظاهر حياة المسلمين، وأخشـى أننا لو لم ننتبه لخطورة هذا اللوبي، ونقدر له قدره، ونخطط لمواجهته أن نرى الحلم الإسـلامي يبتعد مرة أخرى بعد اقترابه. (١)

برنامـج عملـي لتطويـر آليـات الجماعـات الضاغطة لدى الإسلاميين.

الأهداف :

١- التأكيد على أهمية الهوية الإسـلامية بالنسبة لمصر.

٢- السـعي إلى إحلال قوانين الشريعة الإسلامية موضع التنفيذ.

٣- السـعي إلى عدم إصدار قوانين أو تشـريعات

(١) عمـر عفيفي، جماعات الضغط الإسـلامي، موقـع رابطة النهضة والإصـلاح، الخميس ٩ ذو الحجة ١٤٣٣ هـ - ٢٥ أكتوبر ٢٠١٢ م، على الرابط التالي: http://www.nahdaislah.com/article/729

تخالف الشريعة الإسلامية.

٤- دعم النواب أو الشخصيات الموجودة في الجهاز التنفيذي بالدولة والذين لهم توجه أو ميول إسلامية.

آلية العمل :

- العمل على إيجاد كوادر متميزة من المدربين المتخصصين، وعلى درجة عالية من الكفاءة السياسية والشرعية.

- العمل على إيجاد مراكز أبحاث تكون وظيفتها تقديم تقرير لكل عضو من أعضاء مجالس النواب مزودًا بالبيانات والوثائق الخاصة بالمواضيع التي تعرض على البرلمان والتي تعتلي سلم الاهتمام لدى التيار الإسلامي بوجه عام.

- التركيز على الأعضاء المؤثرين، وتعزيز ذلك بوسائل الاتصال المختلفة.

- إيجاد قائمة بأسماء الأعضاء المؤيدين للأفكار الإسلامية، والعمل على إبرازهم إعلاميًا، أو تكريمهم في المؤتمرات والحفلات الخاصة.

- تقديم نشرات دورية للأعضاء عن كثير من القضايا السياسية، سواء الداخلية منها أو الخارجية، بحيث تتمتع بحرفية شديدة وتكون موضع ثقة الجميع.

- تفعيل آلية المظاهرات وحملات المقاطعة لكل ما هو معادٍ أو متصادم مع المشروع الإسلامي.

- تقديم البرامج الجاهزة والتي كان من أهمها:

١- مشروع صياغة القوانين؛ بحيث تكون موافقة للشريعة الإسلامية.

٢- برنامج الأقليات ويشمل كيفية التعامل مع الأقليات غير الإسلامية في المجتمعات المسلمة.

السعي لامتلاك مصادر القوة :

١- إيجاد قوة اقتصادية تستطيع دعم المرشحين الموالين لها في الانتخابات.

فعلى سبيل المثال: يملك اللوبي الصهيوني في أمريكا نفوذًا واسعًا على الفرع التنفيذي. وتتبع تلك السلطة جزئيًا من تأثير الناخبين اليهود على الانتخابات الرئاسية. وعلى الرغم من قلة عددهم بالنسبة إلى عدد السكان (فهم أقل من ٣٪ من مجموع السكان)، إلا أنهم يدفعون أموالاً طائلة للحملات الانتخابية للمرشحين من كلا الحزبين. وقدرت صحيفة «الواشنطن بوست» أن مرشحي الرئاسة الديمقراطيين «يعتمدون على الأنصار اليهود لتزويدهم بما يبلغ ٦٠ ٪ من الأموال».(١)

٢- إيجاد قنوات اتصالية قوية تحظى بالحرفية والمهنية والمصداقية (قنوات فضائية- مجلات- صحف).

٣- العمل على الحصول على قوة تصويتية عالية ونسبة مشاركة قوية.

وأرى أن جماعات الضغط تحوي عددًا من النقاط الإيجابية أكثر ملائمة مع طبيعة ومرتكزات التيارات الإسلامية أكثر من الأحزاب السياسية، ومن ذلك:

١ـ تجنب الدخول في المعضلات الشرعية والقانونية التي يتطلبها الدخول في المعترك الحزبي التنافسي، مثل الاعتراف بحق المواطنة، والموقف من حقوق المرأة ـ بالمضمون العلماني ـ وغيرها من الشروط والمعايير.

٢ـ تتيح الجماعات الضاغطة قدرًا كبيرًا من المرونة في التعامل مع كافة الأحزاب والمستقلين، ولا تضع

(١) ستيفن وولت: جون ميرشايمر،: اللوبي «الإسرائيلي» والسياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة دراسة بواسطة مركز الزيتونة، على الرابط التالي http://www.alzaytouna.net/arabic/print.php?a=4901

التيارات الإســـلامية في إطار واحد محدد قد يعيق حركتها.

٣ـ تجنـــب الدخول في معارك ونقاشـــات مع كافة الأحـــزاب الأخرى؛ إذ فكرة الحزب الأساســـية تقوم على التنافسية بالأساس.

٤ـ تجنـــب محـــاولات الإجهاض، ففـــي حالة فوز الحزب الذي يمثل التيار باكتساح أو بروزه بقوة، هذا ســـيجلب عليه الأعداء، ومن الممكن أن يتعرض لحالة إجهاض ســـريع أو تُحاك ضده المؤامرات، أو يتعرض لتشويه صورته لدى الجماهير، أو التركيز على رموزه لإسقاطهم.

٥ـ تتيح التركيز على تحقيق الأهداف الكلية بشكل أوضح؛ إذ الحزب منوط به كثير من الأهداف الجزئية والإجرائية؛ كإيجاد برامج تنموية من شـــأنها أن توفر مقومـــات الحياة للنـــاس العاديين (الملبس والمســـكن والوظيفة...)، بعكـــس الجماعات الضغط التي يكون تركيزها على فكرة محددة تسعى لتحقيقها على أرض الواقع.

نتائج وتوصيات الدراسة

أولاً النتائج:

١ـ جماعات الضغط السياســـي أحـــد أهم آليات الممارســـة السياســـية، وتعد مع الأحزاب السياسية جناحي العمل السياســـي فـــي الأنظمة الديمقراطية الحديثة، ومع ذلك فإن كثيرًا من الإســـلاميين اتجهوا إلى ممارســـة السياســـة عبر بوابة واحدة وهي بوابة الأحـــزاب السياســـية، مع أن جماعـــات الضغط لا تقل فـــي أهميتها وتأثيرها السياســـي عن الأحزاب السياســـية، إن لم تكن أقوى علـــى نحو ما ذكرنا في المحور الأول.

٢ـ أهم الاختلافات بين جماعات الضغط والأحزاب السياسية: أن الجماعات الضاغطة لا تهدف للوصول المباشر للسلطة، بل هدفها الحقيقي تحقيق ما تدعو إليه من قيم وأيديولوجيات أو مصالح مشتركة.

٣ـ هناك محاولات مبكرة من قوى إسلامية لتكوين ما يعرف بجماعات الضغط السياسي الإسلامي مثل (الجبهة السلفية، الهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح، ائتلاف دعم المســـلمين الجدد) لكنها لم تكن واضحة في التوجه نحو تلك الآلية، وافتقدت لكثير من معايير وآليات عمل تلك الجماعات.

٤ـ يتناســـب أســـلوب الجماعـــات الضاغطة في الممارســـة السياســـية مع توجهات بعـــض التيارات الإسلامية، خاصة السلفية منها؛ لاحتوائها على كثير من المرونة في الممارســـة السياسية بطريقة أسهل من الأحزاب السياسية.

ثانيًا التوصيات:

توصي الدراسة بعدد من التوصيات، من أهمها:

١ـ إعـــداد خطـــة قصيـــرة المدى لمواجهـــة اللوبي العلماني، وذلك بتجميع القوى عن طريق تكوين لوبي إسلامي يمثل جماعات ضغط في الشارع السياسي، وهو ما قامت به الهيئة الشـــرعية وعدد من الكيانات الأخرى مثل مجلس شـــورى العلمـــاء، لكن يحتاج إلى كثير من التفعيل. فالحركة الإســـلامية لديها العديد من الخيارات بشأن أدوات الإقناع لكنها تهدِر أكثرها.

فمـــن أوراق الضغط الفعالة أيضًا: شـــن حملات إعلاميـــة كبيـــرة ومنظمة وواســـعة النطـــاق ضد الشخصيات أو الهيئات التي تعادي الفكرة الإسلامية، أو شـــن الحملات القانونية ورفـــع القضايا ضد من يتصادم مع المشروع الإسلامي.

وهناك أمثلة ناجحة، مثل الحملة ضد يحيى الجمل نائب رئيس الوزراء الســـابق، وهناك الحملة القانونية

التي يشنها عصام سلطان ضد المرشح السابق أحمد شفيق.

٢ـ تعديل مسار ما توفر من أدوات التأثير الإعلامي كالقنوات الفضائية والصحف والمجلات، فرغم قلة تلك الأدوات بالمقارنة بالإعلام العلماني، إلا أنها -ورغم قلتها- بعيدة عن الممارسة الرشيدة القوية والمؤثرة، وتحتاج إلى إعادة تخطيط وبلورة للأهداف مع طبيعة المرحلة. فالفضائيات الإسلامية الكثيرة كلها تقريبًا لا تهتم بالسياسة أصلًا، وبالتالي لا تنشر الوعي السياسي الإسلامي، كما لا تدافع عن المواقف السياسية للحركة الإسلامية، ولا تهاجم خصومها السياسيين وتنتصر منهم.

٣ـ إعداد خطة استراتيجية بعيدة المدى تُعنَى بتكوين الكوادر الفعالة في كافة المجلات السياسية والإعلامية والاقتصادية، كما تُعنَى بالتغلغل داخل كافة مؤسسات الدولة المختلفة.

٤ـ العناية بمراكز الأبحاث والدراسات السياسية والاستراتيجية والتوسع بها، فمراكز الأبحاث هي جزء أصيل في تكوين جماعات الضغط، فمن جهة توفر رؤية استراتيجية للواقع وكيفية التعامل معه، ومن جهة تحاول عمل مظلة علمية للرؤى التي تتبناها جماعات الضغط.

٥ـ محاولة الاتفاق على وضع مادة في الدستور تتيح حرية إنشاء جماعات ضغط بشكل رسمي، كما هو مقرر في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول.

معلومات إضافية

الفرق بين الجماعات الضاغطة والأحزاب السياسية:

تختلف الجماعات الضاغطة عن الأحزاب في أهدافها ووسـائل تكوينها، فهي في أهدافها تسـعى لتحقيق مصالح مرتبطـة بتكويناتها الاجتماعية والطبقية، فإذا كانت جماعات مصلحة اقتصادية كنقابات العمال فإنها تدافع عن الأجور ودعم صناديق الاكتتاب بوسـائل مختلفة؛ كإضراب عن العمل، واحتلال المصانع، بينما تهدف الأحزاب بالأسـاس إلى الوصول إلى السـلطة، وتكون وسائلها كسب التأييد الشـعبي والنجاح في الانتخابات، واستخدام الوسائل الأجدر للترويج لمبادئها.

والأحزاب السياسـية حين تفشل في الانتخابات، تتحول إلى معارضة سياسية، بينما تبقى الجماعات والقوى الضاغطة سـاعية لتحقيق مكاسـب لأعضائها، سـواء نجحت في ذلك أو فشـلت، ولعل الجماعات والقوى الضاغطة هي أكثر نشـاطًا من بعض الأحزاب، سـيما أحزاب الأطر التي لا تنشط إلا في أوقات الانتخابات، وقد تلتقي الجماعات والقوى الضاغطة مع الأحزاب السياسـية فـي التنظيم والعضوية والتمويل، وربما يكون التأثيـر الضاغط على الحكومات لدى هذه الجماعـات أقوى من تأثير الأحزاب إذا كانت مرتبطة مع بعضها ، وهناك أحزاب سياسية لها جماعات وقوى ضاغطة متحالفة معها لتحقيق بعض الأهداف المعينة.
وقـد تتحول بعض الجماعات والقوى الضاغطة إلى أحزاب سياسـية كنقابـة التضامن البولندية التي كان لها دور كبير في زعزعة النظام الاشـتراكي الماركسي في بولندا قبل انهيار الاتحاد السوفيتي، ثم تحولت إلى حزب سياسي فاز في أول انتخابات بعد انهيار الحكم السابق، ووصل إلى الحكم بزعامة (فاليسا).

بالإضافة إلى أن وسـائل الجماعات والقوى الضاغطة التي تسـتخدمها قد لا تكون علنية أو شرعية، بينما الأحزاب تستخدم أساليب معلنة ومشروعة، ومن الناحية التنظيمية فإن الجماعات الضاغطة قد لا تكون منظمة عكس الأحزاب السياسـية التي لها هياكل تنظيمية ، ولا تخضع هذه الجماعات للرقابة الشـعبية بينما تخضع الأحزاب السياسية لها.

العلاقة بين جماعات الضغط والأحزاب السياسية :

تتخذ جماعات الضغط مواقف متباينة من الأحزاب السياسـية، وهـذه المواقف تحدد كيفية تأثير جماعات الضغط على السلطات العامة، ويمكن التمييز بين خمسة مواقف تتخذها جماعات الضغط من الأحزاب:

١ـ الحياد حيال الأحزاب المختلفة، ونتيجة لذلك فإن جماعة الضغط تقيم علاقات مباشرة مع رجال السلطة دون وساطة من أي حزب، ولعل أحسن مثال على ذلك هو الاتحاد الوطني للفلاحين في إنجلترا وويلز.

٢ـ أما الموقف الثاني، فهو قريب من الموقف السابق، ويتمثل في مساندة رجال السلطة الذين يقدمون خدمات لجماعة الضغط، بغض النظر عن انتمائهم الحزبي أو ميولهم الأيديولوجية، وهذا الموقف هو الذي تتخذه كثير من جماعات الضغط الفرنسـية فـي أثناء الانتخابات، كما أنه هو ذات موقـف النقابات الأمريكية، فهي تتبع أسـلوب مكافأة الأصدقاء ومعاقبة الأعداء، وتكون الانتخابات هي الفرصة المتاحة أمام جماعات الضغط لمنح

المكافأة أو توقيع العقوبة.

٣ـ الموقف الثالث الذي يمكن أن تتخذه جماعة الضغط هو إقامة علاقات مع حزب من الأحزاب ومناصرة الأحزاب بشكل عام، وهذا هو الموقف الذي يتخذه اتحاد الصناعات البريطانية. إذ يقيم علاقة ثابتة مع حزب المحافظين، بحيث يلتزم الحزب بمساندة الاتحاد، كما يتعهد الاتحاد باعتباره أحد جماعات الضغط بتأييد الحزب ومساعدته، في مثل هذه الحالات يستجيب الحزب لمطالب جماعة الضغط، وتقدم جماعة الضغط مساهمة مالية تعضد بها الحزب.

٤ـ الموقف الرابع الذي يمكن أن تتخذه جماعة الضغط هو تكوين حزب للدفاع عن مصالحها، وأوضح مثال على هذا الموقف نشأة حزب العمال البريطاني، والحزب الاشتراكي النرويجي، والحزب الاشتراكي السويدي.

٥ـ الموقف الأخير هو الخضوع التام لحزب قائم، ويتيح هذا الموقف للحزب التغلغل في أوساط اقتصادية وصناعية وثقافية مختلفة.

موقع جماعات الضغط من القوى السياسية الأخرى:

يمكن التمييز بين نوعين من القوى السياسية: القوى السياسية المنظمة، والقوى السياسية المنتشرة بلا تنظيم.

وتندرج جماعات الضغط تحت القوى السياسية المنظمة. ذلك أن القوى السياسية المنتشرة بلا تنظيم. هي التي تستخلص من عقلية الأفراد، دون أن يكون لها قاعدة قانونية محددة أي دون أن تكون مؤسسة، والتي غالبًا ما يكون تأثيرها محدودًا؛ لأنها ليست منظمة، ومن ثم لا يمكنها أن تناضل للوصول إلى هدف محدد، أما القوى المنظمة مثل الأحزاب وجماعات الضغط والصحافة فإنها تملك وسائل يمكن تنسيقها واستخدامها للتأثير وتحقيق الأهداف السياسية.

كما أن هناك علاقات بين القوى السياسية المنظمة والقوى السياسية المنتشرة، فهذه الأخيرة هي محرك الحياة السياسية، وتدرك القوى السياسية المنظمة تمامًا أنها لا تستطيع إحراز نجاح إلا إذا لمست وعي المواطنين واستمالت الرأي العام.

وقد رتب الفقيه الدستوري الفرنسي جورج بيردو القوى السياسية، وحدد مكانة كل منها من مركز النظام، الذي يتمثل في القادة والحكومة، ونجد على الحدود الخارجية من مركز الجاذبية المجتمع ككل، تليها الجماعات الجزئية، ونجد في مكانة أقرب من مركز النظام القوى المنظمة، ثم تأتي الطبقة السياسية، وفي وسط النظام أي في مركز الجاذبية يظهر القادة والحكومة.

وتعتبر جماعات الضغط إحدى القوى السياسية المنظمة، وبذلك فهي ليست بعيدة عن مركز الجاذبية، أي أنها تلعب دورًا مهمًّا في الحياة السياسية.

العوامل الأساسية التي تحدد طبيعة أدوار الجماعات ودرجة قوتها أو ضعفها، وأهمها :

أ- البيئة السياسية: وتمثل أهم هذه العوامل ، وتتحدد البيئة السياسية عادة بطبيعة النظام السياسي ، هل هو ليبرالي أم شمولي ، ديمقراطي أو ديكتاتوري ؟

فالنظم الليبرالية تعتبر المرتع الخصب اللازم لنمو هذه الجماعات، وبالذات الجماعات الخاصة؛ وذلك نظرًا لعدم الممانعة من قبل الأيديولوجية العامة للنظام، حيث تقوم على حرية عمل مثل هذه الجماعات وغيرها.

أما النظام الديكتاتوري، فإنه لا يسمح بنمو هذه الجماعات، وغالبًا ما نجدها - حيث يوجد - محدودةً وضعيفةً، وخاصة الجماعات العامة، بينما قد تكون للجماعات الخاصة فرصة كبيرة، وخاصة الجماعات الاقتصادية حيث ليس من السهل تقييد حريتها ببساطة، وخاصة أنها تعمل بالطرق الخفية عادة.

كذلك الأمر بالنسبة للنظم الشمولية، وإن كانت هذه النظم تقاوم بشدة وجود الجماعات الخاصة، مع تسامحها بعض الشيء فيما يتعلق بالجماعات العامة، شريطة أن تظل مستوعَبة داخل أجهزة السلطة، أما أن تبرز هذه الجماعات بصفة مستقلة عن أجهزة السلطة فغالبًا ما يكون ذلك أمرًا مرفوضًا.

وبالطبع فإن ظاهرة الجماعات تظل موجودة في أي مجتمع، وخاصة الجماعات الخاصة، وكما يقول (DJORD-JEVIC): إنها ظاهرة حتمية لا يستطيع أي نظام تجنبها، وإن الجماعات تملك أساليب متنوعة للتعبير عن نفسها مما يمكنها من البروز بطرق مختلفة، يساعدها على ذلك تضخم المجتمعات المعاصرة، وتعقيد علاقاتها.

ب- التنظيم أو التشكيل الرسمي للسلطة: ويتضمن هذا العامل عنصرين رئيسين لهما قوتهما في التأثير على الجماعات الضاغطة من حيث قدرتها وقوتها وهما:

- مدى الأخذ بأسلوب اللامركزية أو المركزية في النظام، فمعظم النظم التي تطبق أسلوب السلطة المركزية الواحدة والقوية، تتميز بعدم وجود جماعات الضغط الضاغطة، أو القادرة على عقد صفقات مع السلطة، وتأثير هذه الجماعات لا يمكنها من فرض مطالب محددة، ولا يتعدى في أحسن الأحوال تقديم التماسات أو تظلمات أو آراء.

أما في النظم ذات التوجه اللامركزي، فإن فرصة نمو وتغلغل هذه القوى، تكون مضاعفة كثيرًا بالقياس مع الحالة الأولى؛ وذلك لأن تعدد مراكز السلطة عبر المستويات التنظيمية المختلفة تزيد عدد القوى التي قد تلجأ إليها هذه الجماعات فيما لو فشلت على المستوى المركزي أو على بعض المستويات اللامركزية الأخرى.

- مدى الفصل بين السلطات : فتطبيق مبدأ الفصل بين السلطات يخلق ويضاعف الفرصة الحقيقية لتمارس هذه الجماعات نشاطها وفاعليتها، فإذا فشلت في الضغط على إحدى السلطات تتحول للسلطات الأخرى.

ج- وضع الأحزاب السياسية: إن متابعة طبيعة العلاقة بين أوضاع الأحزاب السياسية ودرجة قوتها، وبين أوضاع الجماعات الضاغطة وفاعليتها تولد استنتاجًا يبرز غالبًا كقاعدة عامة، مفادها أن قوة وفاعلية الجماعة الضاغطة تتناسب طرديًا مع ضعف الأحزاب السياسية وعكسيًا مع قوتها.

ومؤداه، أن العلاقة بين هذين القناتين قد تبرز ضمن إحدى الصورتين التاليتين:

- علاقة تكامل وظيفي، وهذه العلاقة واقعية فعلاً، حيث إن كل طرف منهما يحاول أن يملأ الفراغ الذي لم يستطع الآخر أن يملأه.

- علاقة إحلالية أو استبدالية؛ بحيث يبرز أحد هذين الطرفين كبديل للطرف الآخر، وربما على أنقاضه،

ومتابعة الظروف المختلفة في النظم السياسية تؤكد هذه النتيجة.

المصدر:

يونـــس زكور، الجماعات والقوى الضاغطة، ماهيتها وحدود وظيفتها في الحقل السياســـي، موقع الحوار المتمدن- العدد: ١٨٥٧ - ٢٠٠٧ / ٣ / ١٧، على الرابط التالي:

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=91386